قاهر في الارض اي ارض مصر وانه لمن المسرفين اي المجاوزين الحد فانه كان من
اخس العبيد وادعى الربوبية واكثر القتل وكان كثير القتل والتعذيب لبني اسرائيل
وقال موسى لقومه يا قوم ان كنتم امنتم بالله اي صدقتم به وبآياته فعليه توكلوا
اي ثقوا به واعتمدوا عليه فانه ناصر اوليائه ومهلك اعدائه ان كنتم مسلمين
اي مستسلمين لقضاء الله تعالى مخلصين له وقيل ان كنتم آمنتم بالقلب واسلمتم
بالظاهر فقالوا مجيبين له على الله توكلنا اي عليه اعتمادنا لا على غيره ثم دعوا
ربهم فقالوا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين اي لا تسلطهم علينا فيفتنونا
ونجنا اي خلصنا برحمتك من القوم الكافرين اي من ايدي قوم فرعون لانهم
كانوا يستعبدونهم ويستعملونهم في الاعمال الشاقة وانما قالوا ذلك لانهم
كانوا مخلصين لا جرم ان الله تعالى قبل توكلهم واجاب دعاهم ونجاهم واهلك من
كانوا يخافونه وجعلهم خلفاء في الارض وفي تقديم التوكل على الدعا تنبيه على
ان الداعي ينبغي ان يتوكل اولا لتجاب دعوته ولما شرح الله تعالى خوف
المؤمنين من الكافرين وما ظهر فيه من التوكل على الله تعالى اتبعه بان امر موسى
وهرون عليهما السلام باتخاذ البيوت بقوله تعالى واوحينا الى موسى واخيه
اي الذي طلب موازرته ومعاضدته ان تبوآ اي اتخذا لقومكما بمصر بيوتا
تسكنون فيها او ترجعون اليها للعبادة واجعلوا انتما وقومكما بيوتكم اي
تلك البيوت قبلة مصلى او مساجد كما في قوله تعالى في بيوت اذن الله ان
ترفع ويذكر فيها اسمه موجهة نحو القبلة اي الكعبة وكان موسى عليه السلام
يصلي اليها وقرا ورش وابو عمرو وحفص بيوتا وبيوتكم برفع البا والباقون
بالخفض واقيموا الصلاة فيها ذكر المفسرون في كيفية هذه الواقعة
وجوها ثلاثة الاول ان موسى عليه السلام ومن معه كانوا في اول امرهم مامورين
بان يصلوا في بيوتهم خفية من الكفرة لئلا يظهروا عليهم ويؤذوهم ويفتنوهم
عن دينهم كما كان المؤمنون على هذه الحالة في اول الاسلام بمكة الثاني قيل
انه تعالى لما ارسل موسى اليهم امر فرعون بتخريب مساجد بني اسرائيل
ومنعهم من الصلاة فامرهم الله تعالى ان يتخذوا مساجد في بيوتهم ويصلوا
فيها خوفا من فرعون الثالث انه تعالى لما ارسل موسى اليهم واظهر فرعون تلك
العداوة الشديدة امر الله تعالى موسى وهرون وقومهما باتخاذ المساجد
على رغم الاعداء وتكفل الله تعالى بان يصونهم عن شر الاعدا وقد خص الله
تعالى موسى وهرون في اول هذه الاية بالخطاب بقوله تعالى ان تبوآ لقومكما
لان التبوء للقوم واتخاذ المعابد مما يتعاطاه روس القوم للتشاور ثم عمم
هذا الخطاب فقال واجعلوا بيوتكم قبلة لان جعل البيوت مساجد والصلاة
مما ينبغي ان يفعله كل احد ثم خص موسى عليه السلام في اخر الكلام بالخطاب
فقال تعالى وبشر المؤمنين اي بالنصر في الدنيا والجنة في العقبى لان

الغرض

الغرض الاصلي من جميع العبادات حصول هذه البشارة وخص الله تعالى موسى بها
ليدل بذلك على ان الاصل في الرسالة موسى عليه السلام وان هرون عليه السلام
تبع له ثم ان موسى عليه السلام لما بالغ في اظهار المعجزات القاهرة الظاهرة
له ورأى القوم مصرين على الجحد والعناد والانكار اخذ يدعو عليهم ومن
حق من يدعو على الغير ان يذكر اولا سبب اقدامه على تلك الجرائم وكان جرمهم هو
لاجل حبهم الدنيا تركوا ولهذا السبب قال موسى ربنا انك اتيت فرعون وملأه
اي اشراف قومه على ما هم عليه من الكفر والكبر زينة اي عظيمة يتزينون بها
من الحلية واللباس وغيرهما من الدواب والغلمان واثاث البيت الفاخر ونحو ذلك
واموالا اي كثيرة من الذهب والفضة وغيرهما في الحياة الدنيا روي عن ابن
عباس رضي الله تعالى عنهما كانت لهم من فسطاط مصر الى ارض الحبشة جبال فيها
معادن من ذهب وفضة وزبرجد وياقوت ثم بين غايتها لهم فقال مفتتحا
بالندا باسم الرب لبعيد وابا عد من مثل حالهم ربنا اي يا ربنا اتيتهم ذلك
ليضلوا اي في عاقبته انفسهم ويضلوا غيرهم عن سبيلك اي دينك
واللام للعاقبة وهي متعلقة باتيت كقوله تعالى فالتقطه ال فرعون ليكون
لهم عدوا وحزنا وقيل للعلة اي اتيتهم كي تفتنهم وقيل هو دعا عليهم
بما علم من ممارسة احوالهم انه لا يكون غير ذلك وقرا عاصم وحمزة والكسائي
بضم اليا والباقون بالفتح ربنا اطمس على اموالهم اي امسخها وغيرها عن هيئتها
قال قتادة صارت اموالهم وحروثهم وزراعتهم وجواهرهم حجارة
وقال محمد بن كعب جعل سكرهم حجارة وقال ابن عباس بلغنا ان الدراهم
والدنانير صارت حجارة منقوشة كهيئتها صحاحا وانصافا واثلاثا وارباعا ودعا
عمر بن عبد العزيز بخريطة فيها اشيا من بقايا ال فرعون واخرج منها البيضة
مشقوقة والجوز مشقوقا وانها لحجر وقال السدي مسخ الله اموالهم حجارة
والنخل والثمار والدقيق والاطعمة فكانت احدى الايات التسع واشدد
على قلوبهم اي اطبع عليها واستوثق حتى لا تنشرح للايمان وقوله فلا
يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم جواب الدعا او دعا بلفظ النهي او عطف على
ليضلوا وما بينهما دعا معترض وقوله تعالى قال قد اجيبت دعوتكما فيه وجهان
الاول قال ابن عباس ان موسى كان يدعو وهرون كان يؤمن فلذلك قال
دعوتكما وذلك ان من يقول عند دعا الداعي امين فهو ايضا داع لان قوله امين
تاويله استجب فهو سائل كما ان الداعي سائل ايضا الثاني ان يكون كل منهما ذكر هذا
غاية ما في الباب ان يقال انه تعالى حكى هذا الدعا عن موسى بقوله تعالى وقال
موسى ربنا وهذا لا ينافي ان يكون هرون قد ذكر الدعا ايضا واما قوله تعالى
فاستقيما اي فامضيا على الدعوة والرسالة والزيادة في الزام الحجة
فقد لبث نوح في قومه الف عام الا خمسين عاما فلا تستعجلا قال ابن جريج

مخطوطات ... الرياض

Copyright ... King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)